

الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية

- السلم الموسيقي -

- ٢ -

هل توجد حقا فروق بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية ؟ يقول الموسيقيون الغربيون بوجود هذه الفروق ظاهرة واضحة لاسيلا الى إنكارها أو الشك فيها ، ويؤمن الموسيقيون الشرقيون بهذا الرأي ، ويذهبون الى أبعد حدود الفكر ، ثم تقوم القائمة بين مفكرهم ، في هل تظل هذه الفروق على ما هي عليه أبداً ، أم تقرب بينهما لفائدة الموسيقى الشرقية ونهضتها . ولكل رأى أنصاره ولكل رأى الداعون إليه بقوة وإيمان .

أما من أين نشأ هذا الخلاف ، وهل كان منذ أن عرف العالم شيئاً اسمه موسيقى ، أم أنها كانت واحدة في بدنها ثم انقسمت إلى فرق وشيع باختلاف أذواق من اشتغلوا بها والمؤثرات التي أحاطت بهم . لنجواب على هذا السؤال يلزمنا أن نهدأ بذكر شيء يسير من تاريخ الموسيقى ونشأتها وتطورها والتواحي التي اتجهت إليها .

يقول التاريخ إن أقدم حضارة عرفها العالم هي في الامة المصرية القديمة ، وإن أقدم موسيقى عرفها التاريخ هي موسيقى قدماء المصريين . لا يخالفنا في ذلك مخالف ، غير أن بعض من بحثوا في تاريخ الموسيقى من الغربيين يميلون الى نسبة الموسيقى القديمة إلى فلاسفة الاغريق ، وأنهم أول من وضعوا قواعدها وأصولها ، ولعل في ذلك روحان تعصبهم في البحث وعدم إيرادهم الحقيقة في كثير منها مادام الفضل سيمود من ورائها إلى الشرق وأهله . أم لعل ذلك راجع إلى أن أقدم ما عثرنا عليه من كتب الموسيقى ، هو لفلاسفة اليونان القدماء . وما لاشك فيه أن الموسيقى كانت تدرس عند قدماء المصريين وكانت لها قواعدها وآدابها ، في الحروب كانت تذكى نيران الاقدام والبيالة ، وفي المعابد كانت تبعث الخشوع والايان ، وفي قصور الملوك وفي دور البلاء كان للموسيقى المكان الاسمي .

ذلك ما حملنا عليه آثارهم المحفورة في المعابد والمياكل والقبور . وأنتم الآلات التي عرفها التاريخ هي الناي والمزمار والليل وهي من صنع قدماء المصريين . ويقول هيودتس المؤرخ القديم . إن

واتركوا الكيد والحصام لقوم
أيها المنكر الحياة علينا
انظر اليرم كيف قاموا بأمر
وأوا النيل راسفا في قيود
في الأرض أصبحت نهب قوم
يشرب الرثيق أهلها في هوان
يمرح الطامعون فيها اختيالاً
فأبت نخوة الشباب عليهم
فسبعوا تلك فجاج سبياً حيناً
ففضر الله وجه مصر بهوم
أجمعوا أمرهم وساروا جوعاً
لهم المجد تالداً وطرفاً
كل يوم لهم بمصر نداء
أسألوا مصر عنهم يوم قاموا
يرفعون اللواء صفاً ويمشوا
زمر تبذل النفوس وتحبو
كتبوا صفحة النزاه لمصر
يا شبول العرين في مصر هيا
لست أدعو كوكوكيد ولكن
ناقسو الطامعين بالجدوا مضوا
لا تقولوا ضيوفنا بعد هذا
نحن أولى إذا أردتم ملاما
وأهيووا بتممكم أن أفيقوا
قد سببنا ترددنا ونكولا
سبيل العيش مهدوها وسيروا
أتم اليوم للبلاد عتاد

أوج واسم ششكاه الى حسينى وبنجكاه الى نواه ويكاه الى رصد واستعمل اسم مقام يكاه للمقام الاول فى ترتيب أوتار العود وهى نغمة قرار النواه .

المسافات الصوتية العامة -

١- المسافة الصوتية العامة Ton Majeur وقيمتها $\frac{8}{9}$

٢- « » « الناقصة Mineur » » $\frac{59049}{10036}$

٣- نصف المسافة الكاملة « Demi » Majeur $\frac{3048}{2187}$

٤- « » « النقص Mineur » » $\frac{243}{206}$

٥- الفرق بين المسافة الكاملة والمسافة التى تسمى كوما « $\frac{524288}{531441}$ »

ولفهم معنى تلك القيم الكسرية للمسافات ، نفرض أن هناك نغمتين متاليتين الأولى ا والثانية ب ، وأردنا أن نعرف قيمة المسافة الصوتية الموجودة بينهما . لذلك نضبط وتر الصوتو نعتبر (جهاز يستعمله علماء الطبيعة لقياس الاصوات بواسطة الأوتار) حتى يصدر النغمة ا فيكون طولها عبارة عن مقام الكسر ، ثم نحرك ضابط الصوتو متر المتحرك على الوتر حتى يصدر النغمة ب فيكون طولها حيثند عبارة عن بسط الكسر ويصح عندنا كرا حسابيا يدلنا على قيمة المسافة الصوتية بين نغمتي ا و ب (وهذا باعتبار أن نغمة ا أوطأ من نغمة ب .

تلك المسافات هى المقاييس الصوتية العامة سواء كانت للموسيقى الشرقية أم الغربية ، ولكن الموسيقين الغربيين لا يتبعون الآن فى تقسيم سلمهم إلا المسافة الكاملة ونصف المسافة المقرب وهو يساوى عدديا $\frac{15}{16}$ ويطلقون عليه اسم السلم المقرب Gamme

tempéré وترتيب مسافته كما يلى

$$\frac{8}{9} \cdot \frac{8}{9} \cdot \frac{15}{16} \cdot \frac{8}{9} \cdot \frac{8}{9} \cdot \frac{8}{9} \cdot \frac{15}{16}$$

من أعظم الاحتفالات المصرية ، الاحتفال بعيد الاله أوزيريس ، فكان الكهان يحملون تماثيل الاله من الذهب الخالص ، وفريق منهم ينشد الاغاني الدينية وفريق منهم يعزف على الناي .

واخذ بنو اسرائيل الموسيقى عن المصريين ، ونبغ منهم أفراد ، وفى اقصيصهم عن سحر مزمار داود واثره فى الطير والحيوان الكثير . وعند خروجهم من مصر نشروا فى مختلف البطاح والوديان ما عرفوه من العلوم الموسيقية ، ولعل اقدم نشيد عرفه التاريخ هو نشيد ميريام الذى أُنشد عند عبورهم البحر الاحمر .

وأخذ الاغريق الموسيقى واصولها عن المصريين والعبرانيين ، وتدرجت الموسيقى فى الغرب من المعابد الى قصور الخاصة ثم الى المحافل العامة وتطورت بتطور المجتمع الغربى وتأثرت بما تأثر به من مختلف التأثيرات . وانتشرت فى الشرق من بلاد الفرس الى العرب الى ما يجاورها من بلاد الشرق وتأثرت بما تأثر به المجتمع الشرقى من عادات وأخلاق وطباع ، وعرفنا نحن من هذا أن اصل الموسيقى فى العالم واحد وانما كانت بسايتها ولا اختلاف فيها ولا تقاسيم . ولنتكلم الآن عن اول تقسيم للسلم الموسيقى عرف فى التاريخ وهو السلم فىنا غورس وتقسيمه كما يلى من اليسار الى اليمين

دو س لا حول فا مى ري دو
بنا مسافة كبيرة مسافة كبيرة مسافة كبيرة ليا مسافة كبيرة مسافة كبيرة
أى أنه قسم الى مسافتين صوتيتين كاملتين ثم نصف مسافة صوتية ناقصة (ا) ثم ثلاث مسافات صوتيات كاملات ثم ليا . وهذا السلم يكاد يقابل سلما شرقيا لنغمة ه عجم عثيران ، من حيث نسب المسافات الموجودة بين مقاماته وترتيبها كما يلى من اليسار الى اليمين تصاعديا :

عجم حسينى ... نواه جهاركاه ... كرىدى ... دوگاه ...
رأسىت عجم عثيران وهذا ما يطلق عليه بالاصطلاح العربى الحديث اسم السلم الكبير Gamme Majeur . وأول سلم شرقى عرف هو السلم الفارسى العام وترتيب درجاته كما يلى :
هفتكاه ... ششكاه ... بنجكاه ... جهاركاه ... سيكاه ...
دوگاه ... يكاه

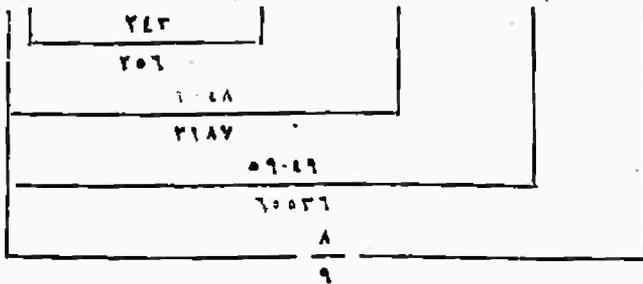
ولما استعملت الاصطلاحات الموسيقية الفارسية فى المجتمعات العربية حصل بعض تعديل فى أسماء المقامات فتغير اسم هفتكاه الى

وسنين الآن كيفية التقسيم ليتضح لنا عظم الفرق بين التقسيم الشرقي ودقته ، والتقسيم الغربي وبساطته .

١- المسافة الصوتية الكاملة $\frac{8}{9}$

تقسم الى أربعة أقسام ، فتلا بين الرصد والدوكاه توجد اليم زير كولا ، وبعدها عن مقام الرصد عبارة عن نصف مسافة ناقصة ثم تليها الزير كرلاه وتبعد عن الرصد نصف مسافة كاملة ، ثم التيك زير كولا ، وبينها وبين الرصد مسافة ناقصة ثم الدوكاه وبعدها عن الرصد مسافة كاملة .

دوكاه ... نيك زير كوله ... زير كوله ... نيم زير كوله ... رصد



٢- المسافة الصوتية الناقصة $\frac{59049}{60536}$

تقسم الى ثلاثة اقسام فتلا من الدوكاه الى السيكاه يوجد الكردي وبعده عن الدوكاه نصف مسافة صوتية ناقصة ثم التيك كردي ويبعد عن الدوكاه نصف مسافة كاملة ، ثم السيكاه سيكاه ... تيك كردي ... كردي ... دوكاه

٣- نصف المسافة الكاملة $\frac{2048}{2187}$

تقسم الى ثلاثة اقسام ، فتلا من السيكاه الى الجهاركاه ، يوجد البوسلك وبعده عن السيكاه كومه واحده ثم التيك بوسلك وبعده عن السيكاه نصف مسافة ناقصة ثم الجهاركاه وبعده عن السيكاه نصف مسافة كاملة

جهاركاه ... نيك بوسلك ... بوسلك ... سيكاه
وعلى ذلك يكون ترتيب الرباعي الاول والثاني اللذان يكونان السلم الشرقي هكذا

رصد $\frac{2048}{2187}$ عراق $\frac{59049}{60536}$ عشيران $\frac{8}{9}$ يكا

الرباعي الاول tetracord

جهاركاه $\frac{2048}{2187}$ سيكاه $\frac{59049}{60536}$ دوكاه $\frac{8}{9}$ رصد

الرباعي الثاني

بيننا يتبع السلم الموسيقي الشرقي الدقة في مسافته وتقسيمه العام هكذا

$$\frac{59049}{60536} \dots \times \dots \frac{2048}{2187} \dots \times \dots \frac{8}{9} \dots \times$$

$$\frac{59049}{60536} \dots \times \dots \frac{2048}{2187} \dots \times \dots \frac{8}{9} \dots \times \dots$$

$$\times \dots \frac{8}{9} \dots \times \dots$$

ومن هنا نشأ خلافاً أساسيان أولهما أن السلم الغربي لا يستعمل المسافة الناقصة ، وثانيهما أن نصف المسافة الثانية في السلم الغربي يقع آخر مسافة ، بينما في السلم الشرقي يوجد نصف المسافة الثانية بين المقامين السادس والسابع .

تقسيم المسافات الصوتية في السلم الغربي الحديث

قسم الموسيقيون الغربيون المسافة الصوتية الى قسمين متساويين فالمسافة مثلا بين دو ري يقع في منتصفها تماما نصف مقام يسمى عند نسبة تصاعديا دو ديز وعند نسبه تنازليا ري بمول وفي التقسيم العلى الصحيح نجد أن علامة ديز تكون لرفع المقام الذي تنسب اليه خمس كومات كاملة ، وعلامة بمول لخفضه خمس كومات كاملة ، ولما كانت المسافة الكاملة مقسمة الى تسع كومات وهو التقسيم الذي يقر به فيناغورس ، وإذا أصبح موقع دو ديز غير موقع ري بمول ، أى أننا عندما نزيد تقسيم المسافة بين دو ري بحساب علامتي الديز والمول ، يلزمنا تقسيمها الى ثلاثة أقسام كما يلي :

ري ... دو ديز ... ري بمول ... دو

غير أن علماء الصوت والموسيقى يحتجون بأن الاذن لا يمكنها التمييز بين نعمتين الفرق بينهما كومة واحدة ، ولذا استخرا عن ذلك التقسيم الصحيح الدقيق واعتبروه نظريا بحتا ، وأصبح لا يوجد فرق بين دو ديز وري بمول وأصبح موقعهما واحدا كما في البيان . وان كان هناك بعض الموسيقيين اللاملايك ممن لا يخضعون لهذا التقسيم ولا يستعملون الآلات ذات الدرجات الثابتة .

تقسيم المسافات الصوتية في السلم الشرقي

ظل الموسيقيون الشرقيون القدماء يستعملون انقسام انديقة في سلمهم الموسيقي ، وما زالت المسافات الصوتية في السلم الشرقي هي الخمس المسافات التي بينها وهي المسافة الكاملة والمسافة الناقصة ونصف المسافة الكاملة ونصف المسافة الناقصة ثم الكومة ،